مِنْ أَجْلِ ثَقَافةٍ شِيعِيَّةٍ زَهرَائِيّةٍ أَصِيلَة مِنْ أَجْلِ نَهضةٍ ثَقَافيّةٍ حُسينيّةٍ زَهرَائِيّةٍ مُتحضِّرة

مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ مَهْدَوِيٍّ زَهرَائِيٍّ رَاقْ

فَاطِمةُ حَوراءٌ إِنسِيّة
صلواتُ الله عَليها

عبدُ الحَليم الغِـزّي

منشـورات موقع القمر

فَاطِمةُ حَوراءٌ إِنسِيّة

صلواتُ اللّه عَليها

يوم الاثنين

بتاريخ: 13 جمادى الأولى 1437 هـ

الموافق: 22/ 2/2016 م

يا زهـــراء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

فَاطِمةُ حَوراءٌ إِنسِيّة
صلواتُ الله عَليها

عبدُ الحَليم الغِزّي

في المجالس الفاطميّة

بموكب شيعة عليّ عليه السلام/ أسن – ألمانيا

يا زهراء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

اللَّهُمّ يا رَبّ الحُسَينِ بحَقِّ الحُسين اشفِ صَدرَ الحُسَين بِظهُورِ الحُجَّةِ عَليه السّلام..

سؤالٌ سألني إيّاهُ بعضُ أساتذةِ الجامعةِ في بغداد وأحببتُ أنْ أجيب عليه في هذا المجلس، السؤالُ حول مضمونِ تسميةِ الصّديقة الكُبرى بالحوراء الإنسيّة؟

لا أريدُ أنْ أتناول كُلَّ المطالبِ في هذه السّاعةِ الموجزة إلَّا أنَّني سأشيرُ إلى جهةٍ مُهمَّةٍ تتعلَّقُ ببيانِ مضمونِ هذا الاسم الشريف من أسماء الصديقةِ فاطمة؛

في أحاديثِ أهل بيت العصمة والروايةُ عن إمامنا الصّادق صلواتُ الله وسلامُه عليه وهو يُحدِّثُنا عن قُرآنهم: وأنَّ القُرآن نَزل على أربعةِ أشياء، على العبارةِ، والإشارةِ، واللطائف، والحقائق، أمّا العبارةُ فللعوامِ، والإشارةُ للخواص، واللطائفُ للأولياء، والحقائقُ للأنبياء، كذاك حديثهم صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين، كما أنّ القُرآن عبارةٌ وإشارةٌ ولطائف وحقائق، كذاك هو حديثُ العترة الطاهرة ما بين عبارةٍ وإشارةٍ ولطائف وحقائق.

اسمها الحوراء الإنسيّة: هذا لون من ألوان التعبيرِ بالإشارة، لا أُريدُ أنْ أنفي أفق العبارة من هذه التسمية، ولكنّني أريد أن أسلِّط الضوء على مضمون الإشارة في هذه التسمية الحوراء الإنسيّة، فهل يُرادُ من هذا التعبيرِ أنها مزيجٌ في خلقتها ما بين العنصر الإنساني والعنصر الحورائي، هل يُرادُ هذا المعنى؟! فاطمةُ أجلُّ من هذه المعاني، فاطمةُ أجلُّ من أن أتحدَّث عنها وأنّها مزيجٌ من العنصر الإنساني ومن العنصر الجناني، فلفظةُ الحوراء تشيرُ إلى أفق الجِنان، ولفظةُ الإنسيةِ تُشيرُ إلى الأفق الإنساني، الصديقةُ الكبرى أعلى شأناً من أن أصفها بهذا الوصف، سيدُ الأنبياء هو الَّذي يقول: (أَنَا وَعَليٌّ مِنْ شَجَرةٍ واحدَة وَسَائرَ النَّاسِ مِنْ شَجرٍ شتّى) -وسائرَ النّاسِ يدخل فيها من آدم إلى كُلِّ من يُوصف بأنّهُ من أبناء آدم إلَّا تلكم الشجرة، تلك شجرةٌ لها خصوصيتها، وأعتقد أنَّ الكلمة واضحة لا تحتاج إلى بيانٍ كثيرٍ ولا تحتاجُ إلى شرحٍ طويل- أَنَا وَعَليٌّ مِنْ شَجَرةٍ واحدَة -وأمثولةُ هذه الشجرة روحها فاطمةُ صلواتُ الله عليها، أليس هو الَّذي يُخاطبها ويصفها بِأنّها مُهْجَتِي- (فَاطِمَة مُهْجَتِي، وَفَاطِمَة رُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَي) إنَّني أتحدَّثُ عن مُهجة مُحَمّد!!

- من هو مُحَمَّدٌ حتَّى أنَّني أتحدَّثُ عن مُهجتهِ؟!
- ماذا أعرفُ عن مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وآله؟!
- وماذا يستطيعُ العقلُ البشري بحدودهِ أن يستطيع أن يرسم صورة عن مُحَمَّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وآله؟! فكيف بالحديثِ عن مُهجتهِ..!!

المهجة: تعني الخُلاصة، فاطمةُ خُلاصةُ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وآله، ومُحَمَّدٌ هو خلاصةُ الأسماء الحُسنى، إذا كان للأسماء الحُسنى من زُبدةٍ من خُلاصةَ فتلك هي مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وآله، مُحَمَّدٌ خلاصة الأسماء الحُسنى وفاطمةُ خلاصةُ هذه الخلاصة..؟!

فإنَّني هنا لا أُريدُ أنْ أتحدّث عن معنى الإنسيةِ وأعود بها إلى معنى الإنسان وأتحدّثُ عن معنى الإنسان الكامل، ولا أُريد أنْ أتحدَّثَ عن الحوراء هُنا فأعودُ بأصلِ الكلمةِ إلى المعنى الحورائي يعني المعنى الجناني وأتحدَّثُ عن الصِّفاتِ الجِنانية، فتلك ما هي بصفاتِ فاطمة، وتلكَ معانٍ بعيدةٌ جدَّاً في غاية البُعدِ ليس عن فاطمة عن فَلَكِ فاطمة صلواتُ اللهِ وسلامُه عليها.!!

إنَّما التسميةُ تُريد أن تُشير إلى أنَّ النوع الَّذي، إذا صحّ هذا التعبير، العباراتُ قاصرة وتلك هي حدود اللغة وهذه مقدرتي، التسميةُ بالحوراء الإنسية تُريد أن تُشير إلى أنَّ فاطمة كما قُلت إذا كان التعبيرُ سليماً، إلى أنَّ فاطمة تنتمي إلى نوعٍ يختلفُ هذا النوع عن سائرِ الأنواعِ الأُخرى، فلا هو بالنّوعِ الإنساني والإنسانُ رمزٌ لعالم الطبيعةِ، الإنسانُ سيدُ عالم الطبيعة وأعني بعالم الطبيعةِ هذا الَّذي يقعُ تحت الحس، وما يُمكن أن يصل إليهِ الحس، لا أتحدَّثُ عن عالم الطبيعةِ وأعني الأرض وإنَّما كل ما يصل إليهِ الحس يُسمّى بعالم الطبيعة، إن كان في الأرضِ أو في أيّ مكانٍ آخر في الوجود، فما يقعُ تحت طائلة الحس وما يقعُ في دائرة الحس هو هذا الَّذي يُقال لهُ عالم الطبيعة، فحين يكون الحديثُ عن الإنسان والقُرآن خاطَبَ الإنسان، القُرآن خاطب الإنسان أنَّ الله سخّر لهُ جميع ما في السموات وما في الأرض، فالإنسان سيدُ عالم الطبيعة، والحديثُ عن النوعِ الإنساني الحديثُ عن سيد عالم الطبيعة، فحين أقول الحوراء الإنسية إنَّني لا أقصُد هذا المعنى.

وكذاك في عالم الجِنان: هذا العالمُ الأرقى، العالم الَّذي يخلصُ ويخلو من كلِّ نواقصِ عالم الطبيعة، كذاك إنَّني لا أقصد هذه الصفة في فاطمة صلواتُ اللهِ وسلامُه عليها.

غايةُ ما في الأمر هذه التسميةُ فيها إشارةٌ وحين نقول إشارة الإشارةُ تكونُ خليّةً من الألفاظ وإذا وُجدت فيها ألفاظ فإنَّ الألفاظ فقط تُشيرُ من بعيد إلى المعنى، كما بدأتُ حديثي في قولِ الإمام الصَّادق صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه: من أنَّ القُرآن عبارةٌ وإشارة.

العبارة: ألفاظ كألفاظي هذه الَّتي ألفظها وهذه الألفاظُ لها معاني فحين يستمعُ إليها الإنسان سيعرف المعاني من خلال دلالة هذه الألفاظ عليها.

أمّا الإشارات: فإنَ الإشارات لا تُوجدُ فيها ألفاظ ولا توجد فيها أصوات ولو وُجدت فيها ألفاظ وأصوات فإنَّها تُشيرُ إلى شيء هو غير ما في هذه الألفاظ وهو غير ما في هذه الأصوات، يُمكن أن أقرَب المعنى، إشارات المرور،

إشارات المرورِ ليست فيها ألفاظ، علامةٌ تُشير إلى معنىَ وهذا المعنى ليس موجوداً في هذه الإشارة، يعني حين تُشير الإشارة إلى أنَّهُ أمامك تقاطع رباعي، هذه الإشارة لا يوجد فيها لا لفظ ولا صوت ولا يوجد فيها أيّ معنى يُشير إلى التقاطع الرّباعي، التقاطع الرّباعي موجود على أرض الواقع بعدك مثلاً بخمسمئة متر، الإشارة مجرد علامة تُشير إليك أشارت إلى المكان من بعيد، القُرآنُ فيهِ هذه الإشارات، ربّما آتيك بمثالٍ يُقرّبُ الفكرة حين تقرأ في أوائل سورة مريم كهيعص، هذه إشارات، هذه الحروفُ الّتي هي في أوائل السورِ إشارات، نوعٌ من أنواعِ التعبير القُرآني جاء بلسانِ الإشارة، جاء بلسان الرّمز، فهذه الحروفُ تشيرُ إلى مضامين وإلى معانٍ هي أبعد من هذا الصّوت الموجود في هذا الحرف، هي أبعد من هذه البَنية الّتي تتلفظُ بها حين تقول كاف.

فحين أقول بأنَّ هذه التسمية الحوراء الإنسيّة هي إشارةٌ تُشير إلى أنَّ فاطمة تنتمي إلى عنصرٍ إلى نوعٍ لا يتشابهُ مع بقيّة الأنواع، فلا يتشابهُ مع الأنواع الّتي هي في عوالم الطبيعة، ولا يتشابهُ مع الأنواع الّتي هي في العوالم العلويةِ في عوالم الجنان لذلك جاء التعبيرُ بأنّها حوراء إنسية، فلا هي من نوعِ الإنسانِ ولا هي من نوعِ الجنان، إنّما هي من نوعٍ آخر، أيّ نوعٍ؟ إنَّهُ النوع الإلهي، وهذا واضحٌ جداً في حديثِ الكساء الشريف وأنتم تقرؤونهُ وقرأتموه، حين تُحدِّثُنا فاطمة، بعد أن اجتمعوا تحت الكساء وبعد أن قال النَّبيّ ما قال صلَّى اللهُ عليهِ وآله تُحدثنا فاطمة ماذا تقول؟ فما قالت بأنَّ النَّبيّ أخبرها أو بأنَّ جبرائيل حدّثها، بعد أن تذكر أنَّهم اجتمعوا تحت الكساء وقال النَّبيّ ما قال، وهي مُستمرة في حديثها كما أنَّها تُخبرنا بالحوادث الّتي جرت، مجيءَ الحَسنِ، مجيءَ الحُسينِ، مجيءَ الأميرِ، مجيئها، اجتماعهم، حديثُ النَّبي تحت الكساء، تقول: فقال اللهُ، يعني ليس نقلاً عن النبي وليس نقلاً عن جبرائيل وليس نقلاً عن أحد لأنَّها هي حاضرةٌ في هذا المحضر الإلهي، ليست مُنفكّةً عن المحضر الإلهي، وهذا مُرادي أنَّ فاطمة نوعها لا يُمكن أن ينتسب لا إلى النوع البشري، إذا انتسب إلى النوعِ البشري فهو انتسابٌ عرضي، وأن نوعها لا ينتسبُ إلى الجنان فإذا انتسبت إلى النوع الجناني فإنَّه انتسابٌ عرضي.

مُرادي من الانتساب العرضي: أنَّ لحقيقة فاطمة مظاهر، لحقيقة فاطمة صور، لها صورةٌ بشرية، لها صورةٌ جنانية، أمّا جوهرها وحقيقتها فتلكم حقيقةٌ إلهية..!! والتسميةُ هذه تشيرُ إلى هذا المضمون أنَّها لا هي من السنخ البشري، من السنخ؛ أي من النوع البشري، ولا هي من السنخِ الجناني، فهي حوراءٌ إنسية والعنوانُ كما قُلت وهذا الاسمٌ كما قُلت: إنَّهُ إشارةٌ تدلُ على هذا النوع الّذي تحدّثوا عنه فقالوا بأنَّهُ لا يُقاسُ بآلِ مُحَمَّدٍ أحد، لا يُقاسُ بهم أحد، لا يُقاس بهم أحد إنَّهم نوعيةٌ تختلف عن كلِّ الأنواع، كما قُلت إذا كانت هذه العبارات تفي بالغرض، حين أقول نوعيةٌ ونوع لكن هذه هي حدود اللغة وهذه هي حدود الألفاظ، ففاطمةُ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليها حقيقةٌ إلهية، ماذا يترتبُ على هذا؟

الّذي يترتبُ على هذا كيف ستكونُ علاقتنا بفاطمة حينئذٍ، إذا كانت فاطمةُ حقيقةً إلهية، كيف ستكونُ علاقتنا بفاطمة؟ هل هي العلاقةُ العاطفية في المستوى العاطفي والّتي في الغالبِ يدورُ الحديث حولها وكأنَّ العلاقة علاقة عاطفية!! العلاقةُ العاطفيةُ ستكون في حاشيةِ العلاقة مع حقيقةٍ إلهية، لأنَّ العلاقة العاطفية هي مُجرّدُ انفعالُ القلب، ما هي العلاقة العاطفية؟ هي انفعالُ القلب، وتفاعل القلب بالحُبَ بالعاطفة بالميل، هذه هي العلاقةُ العاطفية.

علاقتنا بفاطمة قد تكون عاطفيةً وقد تكونُ بدرجةٍ أعلى والدرجةُ الأعلى هي المطلوبة، علاقتنا دينيةٌ، ومُرادي من العلاقةِ الدينيةِ أنَّ أجر ديننا هو الارتباط بفاطمة، ما هو أجرَ الرِسالة؟ أجرَ الرَسالة هو الارتباطُ بفاطمة، العلاقة العاطفية قد تنشأ بسببِ وجداني، قد تنشأ بسببٍ فِطري، العلاقةُ العاطفية قد تنشأ بسببِ الإحسانِ الَّذي يُحسِنُ به شخصٌ إلى آخر، قد تنشأ بسببِ جمالٍ أو كمالٍ أو حُسنٍ في شخصٍ في جهةٍ معيّنة، بسببِ هذا الجمالِ والكمالِ والحُسن تنشأ علاقةٌ عاطفية، العلاقةُ الدينية أساسُ ديننا مبنيٌّ على الأجر، والنَّبيَ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم لطالما كان يُسمِع المسلمين هذه الكلمة ويُردِّدُ هذه الكلمة على المنبر، ماذا يقول؟ (ألا لَعَنَ اللهُ مَن مَنَعَ الأجِيرَ أجْرَه وَأنَا أجِيرُكُم) يعني أنا أنتظرَ أن تدفعوا لي الأجر، والأجرَ واضحٌ لديكم مودَّةُ فاطمة، المودَّة، المودَّة أبعدُ من الحُبّ، العلاقة العاطفية كما قُلتُ قبل قليل العلاقةُ العاطفية هي ميلُ القلب، هي انحرافُ القلب باتجاه معين، حين ينحرفُ القلب يتجه كما مثلاً يُعرَفون الرّحمة، كيف يُعرفون الرّحمة؟ الرّحمةُ؛ شعورٌ يلمّ بالقلبِ لأجلِ إكمال النقص في شخصٍ يعاني من نقصٍ معيّن، هناك شخص يُعاني من مشكلة يعاني من نقصٍ معيّن، فحين تراه يلمّ بقلبك شعورٌ هذا الشعور يدفعك لإكمال نقصِ هذا الإنسان، الحيوان أي شيء، ناقص، الحُبّ كذاك هو، الحُبّ؛ شعورٌ يلمّ بالقلب بسبب حُسنٍ أو جمالٍ أو خصوصية من الخصوصيات في تلك الجهة الّتي انحرف القلبُ باتِّجاهها، أمّا المودَّةُ فهي أبعد من الحُبّ، المودَّةُ حُبّ وَولاء، الولاء أبعد من الحُبّ، الحُبّ شعور، أمّا الولاء التزام، فالمودَّة حُبّ وهو شعورٌ وولاء، الولاء التزام، أنَّك تلتزمُ بهذا الحُبّ، والالتزامُ بهذا الحُبّ يعني الطاعة، ويتفرّعُ على ذلك أنَّك توالي من يواليها وأنَّك تُعادي من يُعاديها، تلك هي المودَّة.

فهل علاقتنا تقفُ عند هذا الحدّ؟!

هذا الحدّ من العلاقة يُمكن أنْ يكون لمخلوقٍ بشري للأنبياء، الأنبياء يُمكن أن تكون لهم العلاقة هذه، العلاقة العاطفية يمكن أن تكون لأيٍّ واحدٍ منَّا، العلاقة العاطفية العلاقة الَّتي تنشأ داخل الأُسر هذه علاقة عاطفية، العلاقة الَّتي تنشأ بين الأصدقاء علاقة عاطفية، العلاقة الَّتي تنشأ بين الأستاذ وتلاميذه هذه علاقة عاطفية، العلاقة الَّتي تنشأ بين مجموعاتٍ من النّاس يلتقون على بعضِ المشتركات، مثلاً مجموعة تلتقي في حُسينيّة، مجموعة تلتقي في منتدى معيّن، مجموعة من النّاس في حزبٍ معيّن تلتقي على مشتركات فيما بينها، على أمورٍ تتفقُ عليها فيما بينها فتنشأ هناك علاقة عاطفية، قد تكون بسبب العمل بسبب السُكنى في المكان، الجيران، فتنشأ العلاقةُ العاطفية، لكن المودَّة هي أبعد من العاطفة، المودَّة فيها ولاء وفيها موالاة من تواليه ومُعاداة من تُعاديه وهذه يمكن أن تكون للأنبياء، والأنبياءَ كما قلنا قبل قليل هم من وُلد آدم، آدم فما دون هم يدخلون تحت العنوان الإنساني، وقُلنا بأنَّ فاطمة هي خارجة عن هذا العنوان، إذا عنونّاها بهذا العنوان عرضاً فمظهرٌ من مظاهرِ فاطمة يُعنوَن بهذا العنوان.

- علاقتنا عاطفيةٌ مع فاطمة صحيحٌ هذا.
- وعلاقتنا مبنيةٌ على المودَّةِ صحيحٌ هذا.

ولكن العلاقة مع الحقيقة الإلهية تتجاوز هذا المعنى، صحيحٌ في كلمات أهل بيت العصمة أنَّ فاطمة هي القيمةُ على الدين، ولا أريد أن أقف عند هذه الكلمة أعتقد أنَّني في السنة الماضية وقفتُ هنا في هذا المكان وبيّنتُ معنى القيمة لا أريد أن أعيد الكلام ولكن فاطمةُ {وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة} في سُورة البيّنة وأئمَّتُنا يقولون: وذلك دينُ فاطمة، القيمةُ فاطمة فالدينُ دينها، القضية تتجاوز حتَّى مسألة الأجر، إذا دخلنا في هذا الإطار القضية تتجاوز مسألة الأجر، صحيحٌ أنَّ أجر الرِّسالة مودَّةُ فاطمة ولكن حين نذهبُ إلى هذا الأفق أنَّ الدين هو دينها وذلك دينُ القيمة، إمامنا الصّادق يقول القيمةُ فاطمة، والدينُ دينها، القضيّة تتجاوز الأجر أيضاً ولكن كلُّ ذلك لا يتسامى مع الحقيقة الإلهية لفاطمة، هذه المعاني كلُّها يمكن أن تكون للأنبياء، يمكن أن تكون للأوصياء، لا أطيلُ عليكم الحديث..

كلمةٌ لإمامنا العسكري ربّما أكثركم يعرفها يحفظها أو سمع بها على الأقل: (نَحْنُ حُججُ اللهِ عَلَى العِبَاد وفَاطِمَةُ أُمُّنَا حُجَّةٌ عَلَيْنَا) أنت كيف تستطيع أن تتصوّر هذا المعنى؟ نحنُ نستطيع أن نُلِمّ بصورتهم والإمام يقول نحنُ؟! يتحدَّث عن المعصومين باستثناء رسول الله وسيِّد الأوصياء، يتحدَّث عن المعصومين ابتداءً من إمامنا الحَسن السِّبط إلى إمام زماننا الحُجّةَ بن الحَسن، يتحدَّث عن الجميع، لَمّا يقول نحنُ حُججُ الله وفاطمة أُمُّنا، هي أُمّهم من الحَسن السِّبط إلى إمام زماننا صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين، نحنُ نستطيع أن نرسمَ صورةً حقيقةً لهم في أذهاننا؟! لا يمكن ذلك، هذه الصورة لا نستطيع أن نرسمها في أذهاننا، أيضاً لنفس السبب هم حقيقةٌ إلهية، وفاطمة حُجّةٌ عليهم، يعني أنَّ مرتبة وأنَّ مقام وأنَّ منزلة الحقيقة الإلهية الفاطميّة تتجاوز في هذا الحديث منزلتهم صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين، وهذا هو مُرادي من أنَّنا لا نستطيع أن نُحدِّد علاقتنا بفاطمة بالحدِّ العاطفي أو بحدِّ المودَّة أو ما يتجاوز حدَّ المودَّة حين يأتي التعبير من أنَّ الدين دينُها وذلك دِينُ القَيمة والقيمة فاطمة..!!

هل نستطيع أن نُحدِّد العلاقة مع الله؟ لا نستطيع أن نُحدِّد العلاقة مع الله، فحين أقول حقيقة فاطمة حقيقة إلهية هل نستطيع أن نُحدِّد هذه العلاقة؟ بابُ العلاقة مفتوح لا حدود لهُ، بابُ العلاقةِ مفتوح لا حدود لهُ من جهتين:

من جهتنا ونحنُ عبيدٌ لهم، فعبوديتنا لهم لا حدود لها لا تقفُ عند حدّ، عبوديّتنا لهم هي عبوديتنا لله سُبحانه وتعالى، نفسُ العبودية لله العبوديةُ لهم على حدٍّ سواء، (هذا الَّذي يسألُ الإمام الصّادق صلواتُ الله وسلامُه عليه قال: أيحلُّ السجود لغير الله؟ الإمام أجاب بشكل قاطع، قال: لا لا يحلُّ السجود لغيرِ الله، قال: فكيف سجدت الملائكة لآدم؟! قال: إنَّ الملائكة سجدت لآدم ولكنَّها سجدت بأمر الله فالسجودُ لغيرِ الله بأمرِ الله هو سجودٌ لله، الملائكةُ سجدت لآدم بأمر الله، فالسجودُ لغيرِ الله بأمر الله هو سجودٌ لله) العبوديةُ لهم هي عبوديةُ لله سبحانه وتعالى على حدٍّ سواء، العبوديةُ لله لا حدود لها والعبوديةُ لفاطمة لا حدود لها، أنت حين تقفُ بين يدي سيِّد الشهداء حين تقرؤون زيارة وارث في مُقدِّمات زيارة وارث اقرؤوها في مفاتيح الجِنان، تُخاطبُ سيِّدُ الشهداء (عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِك وابْنُ أَمَتِك الـمُقِرُّ بِالرِّق) عبودية من جميع الجهات، حتّى هذه العبارة الـمُقرّ بالرّق الزيارة تُريد أن تُلفت نظرنا إلى أنَّ العبودية بجميع الاتجاهات، ليست عبودية مجازية، مُقرّ بالرَق، حتَّى هذا اللون من العبودية، كيف تثبت عبودية شخص لشخص في سوق النخاسة مثلاً؟

أحد الطرق أنَّ العبد يُقرّ يقول أنا عبدٌ ملكٌ لفلان، يقول أنا عبدٌ رق ملكٌ لفلان، وهذه العبودية عبودية عُرفية نشأت من قوانين البشر وصار هناك سوق نخاسة والنّاس تُباع وتُشترى وليست عبودية حقيقية، هذه عبودية عرفية، عبودية نشأت بسبب القوانين والدول والحروب وإلى آخره، مع ذلك الزِّيارة أشارت إلى هذه العبارة، لا تُريد أن تُشرَع هذا النوع من العبودية لكن تُريد الزيارة أن تقول؛ بأنَّ العبودية بكلِّ مراتبها عبدك وابنُ عبدك، ويستمر وإن علا، وابنُ أمَتك، ويستمر، الـمقرّ بالرَق.

هذه هي العبوديةُ الَّتي أشرتُ إليها؛ من أنَّ العلاقة مع الحقيقة الإلهية العلاقة مع فاطمة، فاطمةُ حقيقةٌ إلهية، وتذكروا كلمة النبي الأعظم: (أنَا وعَلِيٌّ من شَجَرةٍ وَاحدَة) شجرة تختلف لا كبقية الأشجار، (وسَائرُ النَّاس) الجميع (وَسَائرُ النَّاس من شَجَرٍ شَتَّى) والملائكة سجدوا للنّاس سجدوا لآدم، لذلك في أحاديث المعراج وقطعاً أحاديثُ المعراج نقلها لنا المعصومون بلسانِ المداراة يخاطبون عقولنا وفقاً لمدارك إدراكنا، ففي بعض المواطن في المعراج النَّبيَ الأعظم يقول لجبرائيل تقدّم، النَّبي يُعطي الإذن لجبرائيل تقدّم، جبرائيل ماذا يقول؟ يقول: منذُ أن سجدنا يا رسول الله منذُ أن سجدنا لآدم إنَّنا لا نتقدَّمُ على بني آدم، نبقى وراءهم، فحين يقول رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله وسائرَ النّاس من شجرٍ شتّى، الحديث هُنا عن النّاس باعتبار هذه الأشجار هي الأشرف!! فإذا ذُكرت الأشجار الأشرف الأشجار الأقل شرفاً داخلة ضمن الحديث، شيء طبيعي هذا، يعني الأشجار الَّتي تنتمي إليها الملائكة ستكون داخلة ضمن هذا الحديث: (أنَا وعَلِيٌّ من شَجَرةٍ وَاحدَة وَسَائرُ النَّاس من شَجَرٍ شَتَّى) الحديث هنا ليس فقط عن بني آدم إنَّما ذكر الآدميون لأنَّهم العنوان الأعلى لأنَّ الملائكة سجدوا لهم، سجدوا لأبيهم، فالعنوان الأعلى حين ذكر بقيّة العناوين تدخل تحت هذا العنوان كُلّ العناوين، كما في حديث سيد الأوصياء: (كُنْتُ مَعَ الأنْبِياء بَاطناً) ذكر الأنبياء لأنَّهم الأشرف فهو مع الجميع باطناً، ذكرهُ للأنبياء هنا: (كُنتُ مَعَ الأنْبِيَاء سِرَّاً ومَعَ رَسُولِ الله عَلَنَاً، كُنْتُ مَعَ الأنْبِياء بَاطناً ومَعَ رسُولِ الله ظَاهِراً) ذكرَ الأنبياء هنا باعتبار هم الأشرف فإذا كان معهم فإنَّه سيكون مع غيرهم، أنا لا أريد أن أتشعّب بالحديث فأذهبَ يميناً وشمالاً ويطول بنا الوقت.

لكن الخلاصة الَّتي أصل إليها نقطتان:

النقطة الأولى: أنَّ فاطمة إذا أردنا أن نجعل لها نوعاً ما نوعها؟ ما نوع حقيقتها؟ مع أنَّ هذا التعبير قاصر، لكن كيف أوضح الفكرة، إذا أرتُ أن أقول ما نوعها ما نوع حقيقتها؟ فهي حقيقةٌ إلهية، والحقيقةُ الإلهيةُ لا حدود لها..!!

النقطة الثانية: ما هو مستوى العلاقة معها؟ مع الحقيقة الإلهية لا تكون العلاقةُ بحدود العاطفة فقط، ولا تكون العلاقةُ بحدود المودَّة، قد يقول قائل إنَّ هذا الَّذي أمرنا به، هذا الَّذي أمرنا به لنخرُج من حدِّ الضلالة إلى الهُدى، لنخرج من حدِّ الكفرِ إلى الإيمان، لنخرج من حدِّ الشرك إلى الإسلام، إذا لم تكن هناك مودَّة فلا هناك إسلام ولا هناك إيمان ولا هناك هُدى، الأمرَ بالمودَّة كي نخرج من حدِّ الضلالة، كي نخرج من حدِّ الشرك، كي نخرج من حدِّ الكُفر، وإلّا القضية لا تقف عند هذا الحدّ، الباب مفتوح.

حين يقولون بأنَّ أمرنا، وقالوا عن أمرهم ليس عن ذواتهم، انتبهوا للكلام: إِنَّ أَمْرَنَا صَعبٌ مُسْتَصْعَبٌ لا يَحْتَمِلَهُ لا نَبيّ مُرسَل فَإِنَّ مِنْ الأَنْبِيّاء مَنْ لَيْسَ بِمُرسَل -الأنبياء المرسلون لا يحتملونه- إِنَّ أَمْرَنَا -ليس هُم، يعني في شؤونهم، من شؤوناتهم، ليس هم، ما قال نحنُ، قال إنَّ أمرنا من شؤوناتهم- إِنَّ أَمْرَنَا صَعبٌ مُسْتَصْعَبٌ ذَكْوَانٌ أَجْرَد لا يَحْتَمِلَهُ لا نَبيّ مُرسَل فَإِنَّ مِنْ الأَنْبِيَاء مَنْ لَيسَ بِمُرسَل وَلا مَلَكٌ مُقرّب فَإِنَّ مِنْ الْمَلائِكَة مَنْ هُوَ غَيْرُ مُقرّب -الحديث عن أعلى الرّتب عن الأنبياء المرسلين، وعن الملائكة المقرّبين- وَلا عَبْدٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلبَهُ لِلإِيمَان -فهذا ابن الصامت يسألُ الإمام الصّادق- فَمَن يَحْتَمِلَهُ يَابن رَسُول الله؟ قَال: نَحْنُ نَحْتَمِلَهُ، نحنُ نحتملهُ، هذه هي الحقيقة الإلهية، والحديث هُنا في أمرهم، الأمر غير هم!! في أمرهم. الله سبحانه وتعالى بالتعبير القُرآني تحدّث عن الخلق (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمر) لهُ الخلق والأمر، وفي الزيارة الجامعة الكبيرة (وأَمْرُهُ إِلَيْكُم) الأمر أعلى رُتبة من الخلق، وهذا هو من أمرهم، الحديث هنا عن أمرهم، أمّا عن ذواتهم فذلك شيء آخر.

ربّما أقرّب الفكرة بالحديث المروي عن إمامنا الصَّادق، حين يسألُ أحد أصحابه يسألهُ عن سلمان والإمام يقول كان سلمان مُحدَّثاً، وهذا الـمُصطلح مُحدَّث؛ يعني الارتباط بعالم الغيب!! فهو يقول للإمامِ الصّادق إذا كان سلمان مُحدَّثاً، كان قد أثار هذا الأمر عجبهُ، إذا كان سلمان مُحدَّثاً فما شأنُ صاحبه؟! يُشير إلى أمير المؤمنين، الإمام قال له أقبِل على شأنك، مو شغلك هذا، فعلاً أنا أقول لنفسي حينما يصل الحديث إلى هذه المقامات هذا مو شغلي ولا شغلك، أقبل على شأنك وأقبلوا على شأنكم، القضيةُ هي القضية، نحنُ غاية ما في الأمر أن نفهم شيئاً من معنى الإشارة، هذا هو مُرادي من معنى الإشارة، أنَّ العبارة للعوام، وأنَّ الإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء، للأنبياء ليس لآل مُحَمّد، آل مُحَمّد شيء ثاني، مرّ الحديث، إنَّ أمرهم لا يحتملهُ لا نبيّ مُرسل ولا مَلَكٌ مقرّب، هذه الحقائق الَّتي نحنُ لا نُدركها وهي بعيدةُ المنال، نحنُ نتحدَّث عن عبارة، إشارة، لطائف، حقائق، اللطائفُ لا نُدركها والحقائق لا نُدركها وهذه الحقائق للأنبياء وأشرف الأنبياء المرسلون وهم يقولون؛ (إِنَّ أَمْرَنَا لَا يَحْتَمِلَهُ لَا نَبيّ مُرسَل وَلا مَلَكٌ مُقَرّب) إذاً أين نحنُ؟ في أيّ مكان نُصنِّفُ أنفُسنا؟ في أيّ مكان!! في أيِّ جهةٍ نضعُ أنفسنا؟!

حينئذٍ هل يُمكننا أنْ نتصوّر بأنَّنا أدّينا شيئاً من حقِّ فاطمة؟! لا يمكن هذا!! هل نستطيع أن نتصوّر بأنَّنا نُدركُ حقَّ فاطمة؟! بعد هذه البيانات وإن كانت مُختصرة كُل نقطة من هذه النقاط بحاجة إلى شرح، ولكن المقام مقام إيجاز، بعد هذه المقدمات أين نضعُ أنفسنا؟ من جهلنا حقيقة لا ندري أين سنضع أنفُسنا، في أيّ سُلَّم، في أيّ مرتبة من المراتب سنضعُ أنفُسنا في مواجهة فاطمة.

وحينئذٍ إذا كُنَّا بهذا الحال فهل نستطيع أن نؤدّي شيئاً من حقِّ فاطمة؟ أبداً، إنَّما هو الطمعُ في لُطفها، الأملُ في عنايتها، فهي القيمةُ، أليس هذا الدين هو دينُها، (وَذَلِكَ دِيْنُ القَيِّمة) وهي القيمة، والقيمة هي صاحبةُ الرعاية، هي صاحبةُ اللطف، نحنُ بعيوننا بقلوبنا بأنظارنا نتّجهُ إلى بابها، فبابها كما يقول صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم: (أَلَا وَإِنَّ بَابَ فَاطِمَةَ بَابِي) الحديثُ عن إمامنا موسى بن جعفر عن آبائه الأطهار، السِّلسلةُ الذهبية المطهَّرة، عن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم (أَلَا وإنَّ فَاطِمَةَ بَابُهَا بَابِي وبَيتُها بَيتِي فَمَن هَتَكَهُ فَقَد هَتَكَ

حِجَابَ الله) كلُّ الكلام الَّذي مرّ اختصرتهُ هذه الكلمة: (فَمَن هَتَكَهُ فَقَد هَتَكَ حِجَابَ الله) هي حقيقةٌ إلهية، بيتٌ جميل في منظومة الأنوار القدسية:

حِجَابُهـــا مِثْـــلُ حِجَـــابِ البَـــارِي بَارِقَـــــةٌ تُـــــذْهِبُ بِالأبْصَـــــارِ

نبيّنا صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم يقول: (وَالله يَا فَاطِمَة لا أَرضَى حَتَّى تَرضَي ثُمَّ لا أَرْضَى حَتَّى تَرْضَي) هذه الكلمة لو نأخذها لوحدها ونتدبّر فيها لو فكّرنا فيها دقائق، أنا هنا لا أريد أن أشرح هذه الكلمة، لكن أقول هذه الكلمة لو أردنا أن نأخذها وأن نتدبّر فيها إلى أيِّ شيء تُشير؟ إلى أنَّ فاطمة هي المدار الَّذي عليه تدور الدوائر، النَّبيّ يقول: (والله) مُقْسِماً (والله يَا فَاطِمَة لا أَرضَى حَتَّى تَرضَي ثُمَّ لا أَرْضَى حَتَّى تَرْضَي).

اليوم هو يومُ شهادتها صلواتُ الله وسلامُه عليها، رواية مُفصَّلة وطويلة أنا لا أريد أن أستعرضها في هذا المجلس آخذ منها كلمة، يرويها شيخنا ابنُ قولويه، رحمةُ الله عليه في كامل الزِّيارات، بسنده عن حمّاد بن عثمان، من أصحاب الإمام الصّادق صلواتُ الله وسلامُه عليه، والإمام يُحدِّث عن رسول الله، موطنِ الشَّاهد هُنا الَّذي أريد ذكره، ماذا يقول إمامنا الصَّادق يُحدِّثُنا عن أُمِّه سيِّدة نساء العالمين يقول: (وَتُلْقِي مَا فِي بَطْنِهَا من الضَّرْب وتَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ الضَّرب -عبارة قصيرة واضحة جدَّاً لا تحتاج إلى شرح- وَتُلْقِي مَا فِي بَطْنِهَا مِنْ الضَّرْب وَتَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ الضَّرب) من نفس الضرب، يعني ضربوها حتَّى أسقطت جنينها وماتت من ذلك الضرب، شهادةُ فاطمة رحيلُ فاطمة عن هذه الدنيا كان بسبب ذلك الضرب، ودعني من أقوال المخرصين، هذا كلام الإمام الصّادق واضح صريح، عبارة صريحة جليّة لا تحتاج إلى شرح وأعتقد أي واحد يعرف العربية يفهم هذا الكلام- (وتَمُوت من ذَلِكَ الضَّرب..!!) نفس الضرب الَّذي بسببه أسقطت جنينها ماتت من نفس ذلك الضرب، أنا هنا لا أريد أن أتحدَّث عن ظلامتها لكنَّني فقط أقول، فقط أقول لنتصوّر هذه الصورة، فقط هذه الصورة نتصوّرُها من واقعِ حياتنا، يعني الآن شابّة في سن الثمانية عشر وهي حامل، شابّة في سن الثمانية عشر، دعني من ذكر أمِّ الحسن والحسين تصوّر هذه القضيّة في أيّ شابّة بهذا العمر، شابّة في عمر الثمانية عشر شابّة مؤدبة مستورة طاهرة لم يُعرف عنها لا كذبة لا منقصة أيّ شيء، لا أقول عن فاطمة، أي امرأة، لا أتحدّث عن فاطمة هنا، أتحدّث عن شابّة في هذا السن واحدة من بناتنا من بناتكم من أخواتكم من بنات جيرانكم، شابّة مؤدّبة مستورة طاهرة، لم يُسمع عنها لا منها ولا بخصوصها كلام سيئ، وهي حامل واليوم توفّي أبوها في مثل هذا اليوم لا أعني هذا اليوم وإنَّما أقصد المثال، توفّي أبوها وهي كانت العزيزة المدلّلة الوحيدة عند أبيها، وأبوها من أشراف النّاس، في مثل هذا الحال حين تُضرب وتُضرب وتُضرب حتَّى يسقط جنينها بالله عليك تتصوّر كم هو مقدار الضرب الَّذي وقع عليها حتَّى أدّى إلى إسقاطِ جنينها، لأن الإمام يقول، يقول ضُربت وهي حامل وألقت ما في بطنها من الضرب، وأنتم تعرفون أنتم تعرفون لقد عصروها بين البابِ والجدار فكسروا ضلعها، لقد سطروها على وجهها فاحمرّت عينها، ضروبها على رأسها وعلى أذُنها وسقطت أقراطها من أذُنها، رفسوها في خاصرتها وضربوها بالسيوف وهي في أغمادها حتَّى ألقت ما في بطنها، الإمام الحَسن يقول للمُغيرة بن شعبة في مجلس معاوية ماذا يقول له؟ يقول: (وأنتَ يا مغيرة ضربت فاطمة حتَّى أدميتها) ضربت فاطمة حتَّى أدميتها..

لقـــد جنـــى الجـــاني عـــلى جنينهـــا فانـــدكَّت الجبـــالُ مـــن حنينهـــا

كيـــف تنـــسى شهـــقة الزَّهـــراء يا بقيّة الله يـــا ثـــاراً ويـــا نـــاراً ويـــا نـــوراً مُبـــين

اللَّهُمَّ يَا رَبّ الحُسَينِ بِحَقِّ الحُسَين اشْفِ صَدرَ الحُسَينِ بِظهُورِ الحُجَةِ عَلَيهِ السَّلام..

أسألكم الدعاء جميعاً..

وصلَّى الله على سيَدنا ونبيَنا مُحَمَّدٍ وآلهِ الأطيبين الأطهرين.

وفي الختام:

لابُدّ من التنبيه إلى أنّنا حاولنا نقل نصوص المجلس كما هي وهذا المطبـوع لا يخلـو مـن أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل المجلس بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

الـمُتابَعة

القمر

1437هـ

2016 م

فَاطمةُ حَوراءٌ إِنسِيّة صلواتُ الله عَليها – ألمانيا ... متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

www.alqamar.tv